

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[68] إلى الناس كافة من جهة أخرى، وعليه، فهذا التفسير بعيد عن مرام الآية. وعلى آية حال، فعدم استقرار الإنسان على حال ثابتة يدل على فقر الإنسان واحتياجه، لأن كل متغير حادث، وكل حادث له محدث، كما وإن عدم استقرار هذا العالم علامة على حركة الإنسان المستمرة نحو الله والمعاد، وكما قالت الآية: (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه). ومن كل ما سبق.. يخرج القرآن الكريم بنتيجة: (فما لهم لا يؤمنون). فمع وضوح أدلة الحق، مثل أدلة: التوحيد، معرفة الله، المعاد، بالإضافة إلى ما من الآفاق في آيات مثل: خلق... الليل والنهار، الشمس والقمر، النور والظلمة، شروق الشمس وغروبها، الشفق، ظلمة الليل، اكتمال القمر بدراً، وكذلك الآيات التي في نفس الإنسان منذ أن يكون نطفة في رحم أمه، وما يطويه من مراحل حتى يكتمل جنيناً، مروراً بما يمر به من حالات في حياته الدنيا، حتى يدركه الموت.. فمع وجود كل هذه الأدلة والآيات لم لا يؤمنون؟!.. وينتقل بنا العرض القرآني من كتاب (التكوين) إلى كتاب (التدوين)، فيقول: (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون). القرآن كالشمس يحمل دليل صدقه بنفسه، وتتلأ أنوار الإعجاز من بين جنباته، ويشهد محتواه على أن الله من الوحي الإلهي وكل منصف يدرك جيداً لدى قراءته له أنه فوق نتائج عقول البشر ولا يمكن أن يصدر من إنسان مهما كان عالماً، فكيف بإنسان لم يتلق تعليماً قط وقد نشأ في بيئة جاهلية موبوءة بالخرافات!... ويراد بـ "السجود" هنا: الخضوع والتسليم والطاعة (1)، أم السجود المتبادر _____ 1 - ومن الشواهد على هذا المعنى، بالإضافة إلى شهادة الآيات السابقة واللاحقة، إن السجود بمعنى وضع الجبين على الأرض عند تلاوة القرآن إنَّما يجب في مواضع محدودة جداً ويستحب في مواضع أخرى، وفي مواضع أخرى لا هو بالواجب ولا بالمستحب - وحينما تقول الآية: (وإذا قرئ القرآن لا يسجدون) فقد أُطلقت القول، والإطلاق والحال هذه يراد به التسليم للقرآن.